

قِرَاءَةُ جَدِيدَةٍ فِي بُرْدَةِ الْبُوصِيرِيِّ وَشِعْرِهِ

عَلَوِي بن عبد القادر السَّقَّاف

فُصَيْدَةُ الْبُرْدَةِ لِلْبُوصِيرِيِّ مِنَ الْقَصَائِدِ الشَّهِيْرَةِ فِي الْمَدِيْحِ النَّبَوِيِّ، هَامٌ فِيهَا أَهْلُ التَّصَوُّفِ؛ فَشَرَحُوْهَا، وَشَطَّرُوْهَا^(١)، وَخَمَّسُوْهَا^(٢)، وَسَبَّعُوْهَا^(٣)، وَعَارَضُوْهَا^(٤)، وَنَظَّمُوا عَلَيَّ نَهْجَهَا^(٥)، حَتَّى بَلَغَتْ شُرُوْحُهَا وَالْكَتُبُ الَّتِي تَكَلَّمَتْ عَنْهَا الْعَشْرَاتُ، وَلَمْ تَقْتَصِرْ عَلَيَّ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ جَاءَتْ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ^(٦)، وَعَغَلُوا فِيهَا، حَتَّى جَعَلَ بَعْضُهُمْ لِأَبْيَاتِهَا بَرَكَةً خَاصَّةً، وَشَفَاءً مِنَ الْأَمْرَاضِ^(٧)! بَلْ مِنْ كِتَابَةِ الْأَحْجَبَةِ وَالتَّمَائِمِ مَنْ يَسْتَعْمِدُ لِكُلِّ مَرَضٍ أَوْ حَاجَةٍ بَيْتًا خَاصًّا: فَبَيْتٌ لِمَرَضِ الصَّرْعِ، وَبَيْتٌ لِلْحِفْظِ مِنَ الْحَرِيْقِ، وَآخَرٌ لِلتَّوْفِيْقِ بَيْنَ الرُّوْحَيْنِ وَهَكَذَا^(٨)! وَمَا عَلِمْنَا هَذَا فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلَا فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ!

وَكَانَتْ الْبُرْدَةُ - وَمَا تَزَالُ - عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الْأَوْرَادِ الَّتِي تُقْرَأُ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ فِي هَيْبَةٍ وَخَشَوْعٍ^(٩)، وَأَبْيَاتُهَا تُسْتَعْمَلُ إِلَى الْيَوْمِ فِي الرُّقَى، وَتُنْتَلَى عِنْدَ الدَّفْنِ^(١٠)، وَقَدْ وَضَعُوا لَهَا شُرُوْطًا عِنْدَ قِرَاءَتِهَا، كَالْوَضْعِ وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ^(١١).

(١) تَشْطِيرُ الشَّعْرِ: أَنْ يُضَيَّفَ إِلَى كُلِّ شَطْرٍ مِنْهُ شَطْرًا مِنْ عِنْدِهِ. ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (٢/ ١١٩٩).
(٢) الْمَخْمَسُ مِنَ الشَّعْرِ: مَا كَانَتْ أَنْصَافُ مُقَفَّاهُ مُخْتَلِفَةً جَمْعُهَا قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ بَعْدَ بَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَهُوَ مَا كَانَ عَلَى خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ. يَنْظُرُ: ((الصحاح)) للجوهري (٣/ ١١٣٤)، و((تاج العروس)) للزبيدي (١٦/ ٢٨).
(٣) الْمُسَبَّعُ مِنَ الْعُرُوضِ: مَا بُنِيَ عَلَى سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ. ((الحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (١/ ٥٠٦).
(٤) الْمُعَارِضَةُ الشَّعْرِيَّةُ: هِيَ مَحَاكَاةُ قَصِيدَةٍ لِأُخْرَى مَوْضُوعًا وَوَزْنًَا، وَهِيَ عِنْدَ الْبُلْغَاءِ عِبَارَةٌ عَنِ قَوْلِ شَيْءٍ مِثْلَ كَلَامِ الْغَيْرِ، سِوَاءَ كَانَ لَهُ وَزْنُ الشَّعْرِ أَوْ الْقَافِيَةِ، أَوْ الرَّدْفِ أَوْ الصَّنْعَةِ. ((كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم)) للتهانوي (٢/ ١٤٧٩).

(٥) انظر: ((المدائح النبوية)) لخمود علي مكي (ص: ١١٩)، و((العمدة شرح البردة)) للهيتمي (ص: ٥٣).
(٦) فاق عددُ شُروح البردة كثيرًا من كُتب السُّنة، كصحيح مسلم، والكتب الأربعة، فضلًا عن غيرها!
(٧) انظر: ((العمدة شرح البردة)) (ص: ٤١)، قال مُحَقِّقُه: (ولا يزال الناس يتبركون بها في أقطاب الأرض؛ فكم ظهر لها من أثرٍ في إبراء المرضى من الذين اعتقدوا شرفها، وقدرها قدرها، فكانت سببًا في شفائهم، ونيل الخيرات والبركات في قراءتها)!

(٨) انظر: ((العمدة في إعراب البردة)) لعبدالله جاحه (ص: ١٧)، و((المدائح النبوية في الأدب العربي)) لركي مبارك (ص: ١٤٢).

(٩) انظر: ((المدائح النبوية في الأدب العربي)) (ص: ١٤٢).

(١٠) انظر: ((دائرة المعارف الإسلامية)) (٣/ ٥٢٨).

(١١) انظر: ((ديوان البوصيري لسيد كيلاني)) (ص: ٢٩).

وَزَعَمُوا أَنَّ سَبَبَ تَسْمِيَّتِهَا بِالْبُرْدَةِ: أَنَّ صَاحِبَهَا أَلْقَاهَا أَمَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ فَأَلْقَى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدَتَهُ كَمَا أَلْقَاهَا عَلَى كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَغْلُظُهُ، مَعَ أَنَّ قِصَّةَ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ هَذِهِ لَمْ تَتَّبَتْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَصْلًا. وَزَعَمُوا أَنَّ نَازِمَهَا الْبُوصَيْرِيُّ كَانَ مَرِيضًا بِالْفَالَجِ فَشَفِي بِهَا؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالْبُرْدَةِ^(١)، وَبَلَغَ غَلُوبُهُمْ فِيهَا أَنَّ زَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَارَكَهُ فِي نَظْمِهَا، وَأَنَّهُ كَانَ يَتِمَائِلُ عِنْدَ سَمَاعِهَا، فَلَمَّا انْتَهَى النَّازِمُ إِلَى قَوْلِهِ:

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ... تَوَقَّفْ! فَأَضَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ^(٢).

وهذا كله كذبٌ وافتراءٌ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم.

هذه القصيدة انتقد كثيرٌ من أهل العلم أبياتًا معينة فيها، تعدُّ من أكثر الأبيات غلوًّا عندهم^(٣)، ودافع عنها آخرون من من دُعاة التصوف، وردُّوا ما وُجِّه إليها من نقدٍ، مُعلِّلين كلَّ بيت مُنتقد فيها بما ينفي علَّةَ النَّقدِ، ومن هذه الأبيات المُنتقدة - التي دافع عنها هؤلاء وزعموا أنَّ مُنتقديها من أهل العلم لم يدركوا مُرادَه - قوله:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَحَدًا بِيَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فُقُلَ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ

وقوله:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَا لِي مَنِ الْوَدُّ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

وقوله:

فِيَنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

فأصبح كثيرٌ من النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ غُلُوبَ الْبُوصَيْرِيِّ إِلَّا مِنْ قِصِيدَتِهِ الْبُرْدَةِ، وَلَا يَعْرِفُونَ مَا فِي الْبُرْدَةِ مِنْ غُلُوبٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مُفَسَّرَةً وَمَبْرَّرَةً، سَلِمَتِ الْبُرْدَةُ وَسَلِمَ

(١) انظر ((حاشية الباجوري على البردة)) (ص: ٤) وغيرها، وهذا ممَّا أطبقت عليه كتبهم، لكن منهم من يقول: لَقَّه بُرْدَتَهُ، ومنهم من يقول: أَلْقَاهَا عَلَيْهِ.

(٢) انظر لذلك: مُقدِّمة ((بردة المديح المباركة)) (ص: ١٥)، و((العمدة في إعراب البردة)) (ص: ١٩).

(٣) من هؤلاء: علامة اليمن محمَّد بن علي الشوكاني في ((الدُّرُّ النُّضِيدُ فِي إِخْلَاصِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ)) (ص: ٥٩)، وعلامة العراق محمود شكري الألوسي في ((غاية الأمان في الرد على النبهاني)) (٣٤٩/٢)، وكثير من المعاصرين.

البُوصيريُّ، فينتقل اللومُ إذًا إلى مُنتقديه المتشدِّدين!

والرَّجُل - كما يزعمون - إمامٌ عالمٌ عاملٌ، صالحٌ زاهدٌ...، وقصيدته البُرْدَةُ زهراءُ عَرَاءُ، يَبْرِكُ بها الناسُ، وفيها شفاءٌ لأمراضهم ... إلى آخره، وهذه الأوصافُ مذكورة في كُتُبهم^(١).

فهل صحيحٌ أنَّ بُردة البُوصيري ليس فيها من العُلُوِّ إلا هذه الأبيات؟ بل هل صحيحٌ أنَّ البُوصيري إمامٌ عالمٌ عاملٌ، وقصائده - سواء البُرْدَةُ أو غيرها - تخلو من العُلُوِّ؟! هذا ما أردتُ بيانه في هذه المقالة.

أما البُوصيري، فهو أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعيد بن حمَّاد الصَّنْهَاجِي البُوصيري، مصريُّ النَّشأة، مغربيُّ الأصل، شاذليُّ الطريقة^(٢).

وُلِدَ سنة ٦٠٨ هـ، وتُوفِّي سنة ٦٩٦ هـ، والرجل لم يكن عالمًا قطُّ، ولم يَعُدَّهُ أحدٌ من المترجمين له في عداد العلماء، بل عدُّوه من الشعراء^(٣)، ومَن عدَّه كذلك من المعاصرين لم يستطع أن يُثبت ذلك، وإنما هي ألقابٌ تُكال كيالًا، كما هي عادةُ القوم^(٤).

(١) انظر على سبيل المثال: ((بردة المديح المباركة)) (ص: ٩)، و((العمدة شرح البردة)) (ص: ٤١).

(٢) كان على صلة بأبي الحسن الشاذليِّ صاحب الطريقة المشهورة عند الصوفيَّة، ولَمَّا مات لازم تلميذه ووارث طريقته أبا العباس المرسي؛ يقول مادحًا الشاذليَّ وطريقته - كما في ((ديوانه)) (ص: ١٠٥):

إنَّ الإمامَ الشاذليَّ طريقُهُ في الفضلِ واضحةٌ لعين المهتمدي
فانقل ولو قَدَمًا على آثاره فإذا فَعَلتَ فذاك آخذ باليَدِ
واسلك طريقَ مُحَمَّدِ شريعةً وحقيقةً ومُحَمَّدِ المتمدِّدِ

ويقول مادحًا أبا العباس المرسي - كما في ((ديوانه)) (ص: ١٠٨):

فاصْحَبْ أبا العباس أحمدًا آخذًا يَدَ عارفٍ بهوى النَّفوسِ مُنَجِّدِ
فإذا سَقَطتْ على الحَبِيرِ بدائِها فاصْبِرْ لِمُرِّ دوائِهِ ومُجَلِّدِ

(٣) انظر: ((شذرات الذهب)) لابن العماد (٤٣٢/٥)، ((الوافي بالوفيات)) للصفدي (١٠٥/٣)، ((فوات الوفيات)) للكثيري (٣٦٢/٣)، ((المقفي الكبير)) للمقريزي (٦٦١/٥)، ((حسن المحاضرة)) للسيوطي (٥٧٠/١).

(٤) تُفاجأ وأنت تقرأ لبعض المعاصرين الألقاب التي تُطلَق عليه من مثل: الإمام، العالم، العامل...، وبالغ الهيتمي في مُقدِّمة شرحه للهمزية (١٠٥/١) في مدحه، فقال: (الشيخُ الإمام، العارفُ الكامل! الهمام، المحقِّق، البليغ، الأديب، المدقِّق، إمام الشعراء، وأشعرُ العُلَماء، وبلغُ الفصحاء، وأفصحُ الحكماء...).

وقال فيه الحسنُ بن محمد الفاسي - وهو من المعاصرين - عند ترجمته في ((طبقات الشاذليَّة الكبرى)) (ص: ٩٩): (الإمام الرَّبَّاني، والعارف الصَّمَداني، الأستاذ الفاضل، والملاذ الكامل، شمس الملة، وبرهان الأئمة، شيخ المحقِّقين، وملاذ أهل التَّمكين... بلغ رضي الله عنه الغوثية الكبرى، ودام له الاجتماعُ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم في اليقظة والمنام)!

والبوصيري كان ممقوتًا؛ لإطلاقِ لِسانه في الناس بكلِّ قَبِيحٍ، وذكره لهم بالشُّوءِ في مجالس الأُمراء والوزراء^(١)، سيئ الخُلُق مع زوجته وغيرها، شَحَاذًا، مُضْطَرَبًا في شخصيته، فتارةً يمدح النَّصارى ويذمُّ اليهود، وتارةً يمدح اليهود؛ إرضاءً للنصارى، وتارةً يذمُّ الاثنين معًا^(٢)، وكان كثير المدحِ للسلَّاطين؛ طمعًا فيما عندهم، وهذا ليس غريبًا على الشعراء، لكنَّه ليس من صنيع العلماء، أضفْ إلى ذلك أنَّ له أبياتًا كثيرةً في البردة والهَمْزِيَّة وبقية قصائده الواردة في ديوانه، فيها من الغلوِّ ما يُصدِّق قول مُتقدِّيه فيه، وإليك جوانبٌ ممَّا ذُكِرَ:

أمَّا سوءُ خُلُقه مع زوجته، فقد ذمَّها وأشار إلى اتِّهامها بالفاحشة في قصيدةٍ طويلةٍ، وفي القصيدة من الفُحش والفُجور والفسق ما فيها، نسأل الله السَّلامة والعافية؛ ومنها قوله:

وَبَلِيَّتِي عِرْسٌ بُلِيَّتٌ بِمَقْتِهَا	وَالْبَعْلُ مَمْقُوتٌ بِغَيْرِ قِيَامِ
جَعَلْتُ بِإِفْلَاسِي وَشَيْبِي حُجَّةَ	إِذَا صِرْتُ لَا خَلْفِي وَلَا قُدَّامِي
بَلَعْتُ مِنَ الْكِبَرِ الْعَيْتِي وَنُكِّسْتُ	فِي الْخَلْقِ وَهِيَ صَبِيَّةُ الْأَرْحَامِ
إِنْ زُرْتَهَا فِي الْعَامِ يَوْمًا أَنْتَجَحْتُ	وَأَتَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ بَعْلَامِ
أَوْ هَذِهِ الْأَوْلَادُ جَاءَتْ كُلُّهَا	مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالْقَوَّامِ؟!
وَأَظُنُّ أَنَّهُمْ لِعُظْمِ بَلِيَّتِي	حَمَلْتُ بِهِمْ لَا شَكَّ فِي الْأَحْلَامِ
أَوْ كُلِّ مَا حَمَلْتُ بِهِ حَمَلْتُ بِهِ؟	مَنْ لِي بِأَنَّ النَّاسَ غَيْرُ نِيَامِ؟
يَا لَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيمًا آيسًا	أَوْ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الْخُدَّامِ
أَوْ لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجِي بِهَا	لَوْ كُنْتُ بَعْتُ حَالَهَا بِحَرَامِ!
أَوْ لَيْتَنِي بَعْضُ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ	مَمَّنْ يُحْصِنُ دِينَهُ بِغُلَامِ ^(٣) !

ففي البيت الخامس يُشكِّك أن يكون أولاده من كثرتهم أتت بهم زوجته منه وهو شيخٌ ليس بالقوَّام! وفي التاسع تَمَّتْ لو استبدل حلالها وهو الزواج بحرامٍ حتى لا يتحمَّل تبعَةَ الأبناء، وفي

(١) ذَكَرَ ذَلِكَ الْمَقْرِزِيُّ فِي ((الْمَقْفَى الْكَبِيرِ)) (٦٦٤/٥) عَنِ الْيَعْمَرِيِّ فِي ((مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ))، وَقَالَ أَيْضًا (٦٦٩/٥): وَحُكِيَ أَنَّهُ كَانَ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ بِصِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ.

(٢) لَهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ رَائِعَةٌ سَمَّاها (الْمَخْرَجُ وَالْمَرْدُودُ عَلَى النَّصَارَى وَالْيَهُودِ) تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ خَبِيرًا بِهِمْ وَمَعْتَقِدَاتِهِمْ. انظر: ((ديوان البوصيري)) للطباع (ص: ١٥٨).

(٣) انظر: ((ديوان البوصيري)) للطباع (ص: ٢٢٦).

العاشر تَمَّتْ لو أَنَّهُ حَصَّنَ دِينَهُ بِغُلامٍ بدلاً عن زوجةٍ، كَبعض الذين يعرفهم! والعيادُ بالله.

والبُوصيري كان شَحَاذًا يستخدمُ شِعْرَهُ في استجداءِ ما عند الناس - وهذا ليس من صنيعِ العلماءِ - فها هو يَشْكُو لِلصَّاحِبِ بهاء الدِّينِ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حنا حاله وكثرة عياله بقوله:

أَيْهَا الصَّاحِبُ الْمُؤَمَّلُ أَدْعُو كَ دُعَاءِ اسْتِغَاثَةٍ واسْتِجَارَةٍ
أَثْقَلْتُ ظَهْرِي العِيَالُ وَقَدْ كُنْتُ زَمَانًا بِهِمْ خَفِيفَ الكَارَةِ
وَلَوْ أَيْ وَحْدِي لَكُنْتُ مُرِيدًا فِي رِبَاطٍ أَوْ عَابِدًا فِي مَغَارَةٍ
أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيْئًا وَهُوَ حَرْبٌ لَسْتُ فِيهِ وَلَا مِنَ النَّظَّارَةِ
لَا تَكَلِّني إِلى سِوَاكَ فَأَحْيَا رُ زَمَانِي لَا يَمْنُخُونَ خِيَارَةَ
ووجودُهُ الفُصَّادِ فِيهِ حديدٌ وَقلوبُ الأَجوادِ فِيهِ حِجارَةُ
فإِذا فَازَتْ كَفُّ حُرِّ يُرِّ فَهو إِمَّا بِنَقْضَةٍ أَوْ نِشارَةٍ
إِنَّ بَيْتي يَقُولُ قَدْ طَالَ عَهْدِي بِدُخُولِ التَّلَّيسِ^(١) لِي وَالشُّكَّارَةِ
وِطْعَامٍ قَدْ كانَ يَعْهَدُهُ النَّا سُنْ مَتاعًا لَهُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ
فَالكِوانِينِ^(٢) ما تُعابُ مِنَ البَرِّ دِ بَطْبَاحِيَّةٍ وَلَا شِشْكارَةِ
لَا بِسِباطٍ وَلَا حَصِيرٍ بِدِهْلِيهِمْ — وَلَا بِمَجْلِسِي وَلَا طِيَّارَةِ^(٣)

وَيَطْلُبُ مِنْ غَيْرِهِ كُنافَةً فِي شَهْرِ الصُّومِ، فيقول:

ما أَكَلْنَا فِي ذَا الصَّيِّامِ كُنافَهُ آهٍ وَابُعَدَها عَلينا مَسافَهُ
قال قَوْمٌ إِنَّ العِمادَ كَرِيمٌ قَلْتُ هَذَا عِنْدِي حَدِيثُ خُرَافِهِ

(١) التَّلَّيسَةُ: وعاءٌ يُسَوَّى مِنَ الحُوصِ شَبه الثَّقَةِ، وَهِيَ القِنْبِيَّةُ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ العَصَّارينِ، وَيَقُولُ عَامَّةُ مِصرَ لِلجِوَالِقِ الصَّخْمِ (تَلِيس) بِفَتْحِ التَّاءِ. يَنْظُرُ: ((تَهذِيبُ اللُّغَةِ)) لِلأَزْهَرِيِّ (١٢ / ٢٦٧)، ((المَعْجَمُ الوَسِيطُ)) (١ / ٨٧).

(٢) الكِوانِينُ: جَمْعُ (الكِانونِ) وَهُوَ المِوقِدُ، وَالنَّقِيلُ الوَحْمُ مِنَ النَّاسِ، وَالَّذِي يَجْلِسُ حَتَّى يَتَيَّنَّ الأَخْبَارَ والأَحاديثَ؛ لِيَنْقَلِبَها. يَنْظُرُ: ((تَهذِيبُ اللُّغَةِ)) لِلأَزْهَرِيِّ (٩ / ٣٣٥)، ((المَعْجَمُ الوَسِيطُ)) (٢ / ٨٠١).

(٣) انظُرْ: ((ديوان البوصيري)) (ص: ١١٩)، انظُرْ إِلى اسْتِغَاثَتِهِ بِبِهاءِ الدِّينِ فِي البَيْتِ الأَوَّلِ وَإِلى غُلُوهِ فِي البَيْتِ الخامسِ.

أَنَا ضَيْفٌ لَهُ وَقَدْ مُتُّ جُوعًا لَيْتَ شِعْرِي لِمَ لَا تُعَدُّ الضِّيَافَةَ
وَهُوَ إِنْ يُطْعِمَ الطَّعَامَ فَمَا يُطْ عِمُّهُ إِلَّا بِسُمْعَةٍ أَوْ مَخَافِهِ^(١).

وقال يَهْجُو أَنَا سَا سَرَقُوا حِمَارَتَهُ فَعَلَا وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ جِدًّا مِنْ أَجْلِ حِمَارَةٍ! فقال:

أَرَى الْمُسْتَحْدِمِينَ مَشَوْا جَمِيعًا عَلَى غَيْرِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
مَعَاشِرُ لَوْ وَلُّوا جَنَاتِ عَدْنٍ لَصَارَتْ مِنْهُمْ نَارَ الْجَحِيمِ
فَمَا مِنْ بَلَدَةٍ إِلَّا وَمِنْهُمْ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْطَانٍ رَجِيمِ
فَلَوْ كَانَ التُّجُومُ لَهَا رُجُومًا لَقَدْ خَلَّتِ السَّمَاءُ مِنَ التُّجُومِ^(٢)

وكان مُضْطَرِبَ الشَّخْصِيَّةِ يَسِيرُ مَعَ هَوَى نَفْسِهِ وَطَمَعِهَا، فَلَمَّا لَمْ يُهْدِ لَهُ النَّصَارَى طَعَامًا فِي عِيدِهِمْ - عيد المسيح كما يزعمون - هَجَاهُمْ، وَمَدَحَ الْيَهُودَ؛ نَكَايَةً فِيهِمْ فَقَالَ:

يَهُودُ بِلَيْسِ^(٣) كُلِّ عِيدٍ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ النَّصَارَى
أَمَا تَرَى الْبَغْلَ وَهُوَ بَغْلٌ فِي فَضْلِهِ يَفْضُلُ الْحِمَارَ^(٤)

فَلَمَّا هَدَّاهُ النَّصَارَى تَرَاجَعَ وَمَدَحَهُمْ وَذَمَّ الْيَهُودَ، فَقَالَ:

مَا لِلنَّصَارَى إِلَيَّ ذَنْبٌ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ لِلْيَهُودِ
وَكَيْفَ تَفْضِلُهُمْ وَفِيهِمْ سِرُّ الْخِنَازِيرِ وَالْقُرُودِ^(٥).

أَمَّا مَدْحُهُ لِسُلْطَانِ زَمَانِهِ مُسْتَجِدًّا مَا عِنْدَهُمْ، فَحَدَّثَ وَلَا حَرَجَ! وَدِيوانه مَلِيٌّ بِذَلِكَ^(٦)

(١) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ١٥٦).

(٢) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص ٢٢٧)، وانظر الغلو في البيت الثاني.

(٣) بَلَيْسٌ - بَكْسِرِ الْبَاءِ، وَسَكُونِ اللَّامِ، وَيُقَالُ: بَلَيْسٌ بضم الباء الأولى وفتح الثانية-: مدينة بمصر بالشَّرْقِيَّةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُسْطَاطٍ مِصرَ عَشْرَةَ فَرَاسِخٍ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ، فَتَحَتْ فِي سَنَةِ ١١٨ هـ أَوْ ١١٩ هـ عَلَى يَدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. يَنْظُرُ: ((معجم البلدان)) لياقوت (١/ ٤٧٩)، ((تاج العروس)) للزبيدي (١٥/ ٤٦٦).

(٤) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ١٤٩).

(٥) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص ١١٥).

(٦) انظر الصفحات: ٨١، ٨٤، ١١٢، ١١٦، ١٢٠، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٧، ١٥٠، ٢٢٨، وغيرها من ((ديوان البوصيري)) للطباع.

ولا تخلو كثيرٌ من قصائده من الغلو في الممدوح، وإليك نزرًا يسيرًا منها:

فمن ذلك قوله يمدح الوزير زين الدين الصاحب بقوله:

أهلُ التُّقى والعِلمِ أهلُ السُّودِ فأخو السّيادةِ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ
الصَّاحِبِ بنُ الصَّاحِبِ بنِ حَبْرِ الهُمَامِ السَّيِّدِ ابنِ السَّيِّدِ
لا تُشْرِكَنَّ به امرأً في وصفه فتكونَ قد خالفتَ كُلَّ مُوحِّدٍ^(١).

وفي البيت الأخير غلوٌّ ظاهرٌ.

ويقول مادحًا الصاحب بهاء الدين، ويطلبه حمارةً، ويدمُّ آخرَ مَقَرَّبًا من الصاحب؛ حسدًا له:

صاحبٌ لا يزالُ بالجودِ والإف ضالٍ طلقَ اليدينِ حُلُوَ العبارةِ
كَم هَدَانَا مِنْ فَضْلِهِ بِكِتَابِ مُعْجَزٍ مِنْ عُلُومِهِ بِأَثَارِهِ
إِنَّمَا يَذْكُرُ الْعَطِيَّةَ مَنْ كَا نَتَّ عَطَايَاهُ تَارَةً بَعْدَ تَارِهِ
سَيِّدِي أَنْتَ نُصْرَتِي كُلَّمَا شَنَّ عَلَيَّ الزَّمَانَ بِالْفَقْرِ غَارَهُ!
شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَسْتُ كَأَنِّي زَامِرُ الْحَيِّ أَوْ صَغِيرُ الْحَارَةِ
وَابْنُ عِمْرَانَ وَهُوَ شَرُّ مَتَاعِ لِلوَزِيِّ فِي بَطَانَةِ وَظَهَارَةِ
حَسَنَ الثَّرْبِ مِنْكُمْ قُبْحَ ذِكْرَا هُ كَتَحْسِينِ الْمِسْكِ ذِكْرَ الْفَارَةِ
فَهُوَ فِي الْمَدْحِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِي وَهُوَ فِي الْمَحْوِ مِنْ زِنَادِي شَرَارَةُ
مَا لَهُ مِيزَةٌ عَلَيَّ سِوَى أَنْ لَهُ بَغْلَةٌ وَمَالِي جِمَارَةُ^(٢)

ويمدحه مرّةً أخرى ويشكو له حاله فيقول:

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ الَّذِي أَيَّامُهُ طَائِعَةٌ أَمْرَةٌ!
وَمَنْ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي الْعُلَا تَكِلُّ عَنْ أَوْصَافِهَا الْفِكْرَ
أَخْلَاقُكَ الْعُرُّ دَعْتَنَا إِلَى الْ إِدْلَاءِ فِي الْقَوْلِ عَلَى غِرِّهِ
إِلَيْكَ نَشْكُو حَالَنَا إِنَّنَا عَائِلَةٌ فِي غَايَةِ الْكُنْزِ

(١) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ١١٢)، وانظر الغلو في البيت الأخير.

(٢) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ١١٧).

صاموا مع النَّاسِ وَلَكِنَّهُمْ كانوا لَمَنْ يُصِرُّهُمْ عِبْرَةً
فارحمهم إِنْ أَبْصَرُوا كَعَكَّةً في يَدِ طِفْلٍ أَوْ رَأَوْا تَمْرَهُ
تَشَخَّصُ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَهَا بِشَهْقَةٍ تَتَّبِعُهَا زَفْرَهُ

وقد اشتهر البوصيريُّ بشعره في المدائح النبويَّة، وهو من أرقى الشُّعْر وأجوده لولا غلُوُّ فيه،
ومن قرأ قصائده مثل: البُرْدَة الميميَّة، والقصيدَة الهمزيَّة، وبقية قصائده في ديوانه - ظهر له اطِّرادُ
الرَّجُل في غلُوِّه، وأبياته المجرَّمة المحتملة لأكثر من معنى في قصيدة، تُفسِّرها أبياتٌ أخرى في
قصيدةٍ أخرى؛ فلا مجال لتبرئته منه، وهاكم بعض الأمثلة:

قوله في البُرْدَة:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ^(١)

يُؤَيِّدُه البَيْتُ الخَامِسُ مِنَ الهمزيَّة:

لَكَ ذَاتُ العُلُومِ مِنَ عَالِمِ الغَيْبِ — وَمِنْهَا لِآدَمَ الأَسْمَاءُ

لذلك قال الهيثميُّ في شرح هذا البيت:

(إِنَّ آدَمَ لَمْ يَحْضُلْ لَهُ مِنَ العُلُومِ إِلَّا مَجْرَدُ العِلْمِ مِنْ أَسْمَائِهَا، وَأَنَّ الحَاصِلَ لِنَبِيِّنَا هُوَ العِلْمُ
بِحَقَائِقِهَا، وَمُسَمِّيَاتِهَا، وَلَا رَيْبَ أَنَّ العِلْمَ بِهَذَا أَعْلَى وَأَجْلُّ، مِنَ العِلْمِ بِمَجْرَدِ أَسْمَائِهَا؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُؤْتَى
بِهَا لِتَبْيِينِ المَسْمِيَّاتِ؛ فَهِيَ المَقْصُودَةُ بِالذَّاتِ، وَتِلْكَ بِالْوَسِيلَةِ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا، وَنَظِيرَ ذَلِكَ أَنَّ
المَقْصُودَ مِنْ خَلْقِ آدَمَ إِنَّمَا هُوَ خَلْقُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صُلْبِهِ، فَهُوَ المَقْصُودُ بِطَرِيقِ
الذَّاتِ، وَآدَمَ بِطَرِيقِ الوَسِيلَةِ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ بَعْضُ الحَقِّقِينَ: إِنَّمَا سَجَدَ المَلَأِكَةُ لِأَجْلِ نُورِ مُحَمَّدٍ صَلَّى

(١) هناك من أمور الغيب ما أطلعه الله على من ارتضاهم من رُسله، ومنهم نبيُّنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن
البوصيري يزعم أنَّ ما في اللوح المحفوظ بعضٌ ممَّا عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقوله: (ومن علومك) من هنا: للتبويض؛
ولذلك يقول الهيثميُّ شارحًا هذا البيت: (وجه كون علم اللوح المحفوظ من بعض علومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّ الله
أطلعه ليلة الإسراء على جميع ما في اللوح المحفوظ، وزاده علمًا آخر كالأسرار المتعلقة بذاته سبحانه وتعالى وصفاته))
انظر: ((العمدة شرح البردة)) (ص: ٦٩٩).

ولمَّا حَارَ بَعْضُهُمْ وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذَا المَازِقِ أَتَى بِمَا يُضْحِكُ، فَقَالَ: (قال الشُّرَاحُ: المراد باللوح ما يكتب الناس عليه،
وبالقلم: ما يكتبون به، فكأنه قال: ومن علومك علم الناس الذي يكتبونه بأقلامهم في ألواحهم). انظر: ((نحت حديد
الباطل ويرده)) لداود النقشبندی (ص: ٣٩)، ((البلسم المريح من شفاء القلب الجريح)) لعمر كامل (ص: ١٤).

الله عليه وسلّم الذي في جبينه^(١)!

نعوذ بالله من الضلال.

والبُوصيريُّ كغيره من عُلاة الصوفيّة الذين يعتقدون أنّ الدنيا بمن فيها لم تُخلق إلا من أجلِ محمّد صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، ونورِ محمّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، وهذا ذكّره في البردة وغيرها؛ قال في البردة:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورةً مَنْ لولاه لم تُخرِج الدنيا من العدم

وقال:

وكلُّ آيٍ أتى الرُّسلُ الكرامُ بها فإنّما اتّصلت من نوره بهم

وقال:

فاق النّبيّين في خلقٍ وفي خُلُقٍ ولم يُدانوه في علمٍ ولا كرمٍ
وكُلُّهم من رسولِ الله مُلتَمِسٌ عَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّمِّ

وقال في الهمزيّة مؤكّدًا هذا المعنى:

كلُّ فضلٍ في العالمين فمن فضلي النّبي استعاره الفضلاء

قال الهيثميُّ في شرح البردة: (فإنّما اتّصلت من نوره بهم، أي: وصلت منه إليهم بطريق الاستمداد؛ وذلك لأنّ نورَه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم كان مخلوقًا قبل آدم صلوات الله وسلامه عليه، بل قبل سائر المخلوقات من السّموات وما فيها والأرض وما عليها وغير ذلك)^(٢)، وهذا من خرافات الصوفيّة وخزعبلاتهم؛ فالنبيُّ محمّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم ولد آدم، وتُخلق بعد آدم؛ فكيف يكون نوره خُلِقَ قبله؟! عليه صلوات ربّي وسلامه.

وقال في شرح الهمزيّة: (لأنّه صَلَّى اللهُ عليه وسلّم الممدُّ لهم؛ إذ هو الوارثُ للحضرة الإلهيّة، والمستمدُّ منها بلا واسطةٍ دون غيره؛ فإنه لا يستمدُّ منها إلا بواسطة صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، فلا يصلُّ لكامل شيءٍ إلا وهو من بعض مدده وعلى يديه، فأياتُ كلِّ نبيٍّ إنّما هي مُقتبسةٌ من نوره؛ لأنّه كالشمس، وهم كالكواكب، فهي غيرُ مضيئةٍ بذاتها وإنّما هي مُستمدّةٌ من نورِ الشمس، فإذا غابتُ أظهرتُ أنوارها، فهم قبل وجوده صَلَّى اللهُ عليه وسلّم إنّما كانوا يُظهرون فضله، وأنوارهم

(١) انظر: ((المنح المكية شرح الهمزية للهيتمي)) (١/٤٦١).

(٢) انظر: ((العمدة شرح البردة)) للهيتمي (ص: ٢٨٩).

مُستَمَدَّة من نوره الفاضل، ومددِه الواسع^(١)، وهذا كلامٌ لا دليلَ عليه لا من التَّقل ولا العقل،
ولا زمامَ له ولا حِطام!

وفي البُرْدَة استجارة واستغاثة بالنبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وذلك عند قوله:

مَا سَأَمَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضْمِ
وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ إِلَّا التَّمَسْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

ومعنى ذلك: ما ظلمني أهلُ الدَّهرِ في وقتٍ من الأوقاتِ وطلبتُ من النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه
وسلَّم أن يُدخِلني في جواره؛ ليحميني من ضيمِ الدَّهرِ إلا وقَّرنِي منه^(٢).

والاستغاثةُ بالنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم كثيرةٌ في شعرِ البوصيري - وهي أشنعُ من التوسُّل، وإنْ
خلطَ بينهما بعضُ الناس؛ جهلاً أو تلييساً.

ولم تقتصرْ أبياتُ الغلوِّ في شعرِ البوصيريِّ على البُرْدَة فقط، بل في غيرها ما هو أكثرُ غلوًّا،
ومن ذلك قوله:

يَا نَبِيَّ الهُدَى اسْتَغَاثُهُ مَلْهُو فِ أَضْرَّتْ بِحَالِهِ الحُوبَاءُ
يَدَّعِي الحَبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو ءِ وَمَنْ لِي أَنْ تَصُدَّقَ الرِّغْبَاءُ
إِلَى أَنْ قَالَ:

هَذِهِ عَلَّتِي وَأَنْتَ طَيِّبِي لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي القَلْبِ دَاءُ
وَمِنَ الفُوزِ أَنْ أُبْتَكَّ شَكْوَى هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءُ^(٣)

وأشدُّ من ذلك دُعاؤه النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يصفحَ عنه، وأن يقبلَ عُذْرَه بقوله:

يَا مَنْ خَزَائِنُ جُودِهِ مَمْلُوءَةٌ كَرَّمًا وَبَابُ عَطَائِهِ مَفْتُوحُ
نَدَعُوكَ عَنِ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ وَجَحَالُ فَضْلِكَ لِلْعُقَاةِ فَسِيحُ
فَاصْفَحْ عَنِ العَبْدِ المَسِيءِ تَكْرُمًا إِنَّ الكَرِيمَ عَنِ المَسِيءِ صَفُوحُ
وَاقْبَلْ رَسُولَ اللهِ عُذْرَ مَقْصُرٍ هُوَ إِنْ قَبِلْتَ بِمَدْحِكَ المَمْدُوحُ

(١) انظر: ((المنح المكيَّة شرح الهمزِيَّة)) (٦٥٢/٢).

(٢) انظر: ((العمدة شرح البُرْدَة)) (ص: ٤١١-٤١٣).

(٣) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ٦٠).

في كلِّ وادٍ من صفاتِك هائمٌ وبُكُلِّ سرٍّ من ندادِك سَبوُحٌ^(١)

ومن ذلك: عُلوُّه في الشَّريفةِ نَفيسةَ بنتِ الحُسنِ بنِ زَيدِ بنِ الحُسنِ بنِ عليِّ رضي اللهُ عنهم، بقوله:

سَليلُهُ خَيرِ العالَمينِ "نَفيسةُ" سَمَتِ بِكِ أَعراقُ وطابَتْ مَحاتِدُ^(٢)
إذا جَحَدتْ شَمْسُ النَهارِ ضِياءَها فَفضلُكِ لم يَجحَدُه في الناسِ جاحِدُ
بأبائِك الأَطهارِ زُيَّنَتِ العُلا فَحَبَّاتُ عِقَدِ المَجدِ مِنْهم فَرائِدُ
ورثتِ صِفاتِ المِصطَفى وعُلوَمَه فَفضلُكما لولا التُّبوَّةُ واحِدُ!^(٣)

هذا، وفي البُرْدَةِ أخطاءٌ أخرى نَمُرُ عليها مرورًا سَريعًا حتى لا يَظنُّ ظانُّ أنَّها مقصورةٌ على
بَيتينِ أو ثلاثة، فَمِن ذلك:

قوله:

أَفَسَمْتُ بِالقَمَرِ المَنشَقِّ إنَّ لَه مِن قَلبِه نِسبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

وهذا قَسَمٌ بغيرِ اللهُ تعالى لا يَجوزُ.

وقوله:

دَع ما ادَّعَتُه النَّصارى في نَبِيَّهِم واحكُم بما شِئتَ مَدحًا فيه واحكِم

وكأَنَّ الناظِمَ يقول: امدحُه - يعني: نَبينا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ - بما شِئتَ من المدحِ،
لكن لا يصلُ بك المدحُ إلى تَأليهِه كما فعلتِ النَّصارى مع عيسى عليه الصَّلَاة والسَّلَام، وهذا
باطلٌ، وليس معنى حديث: ((لا تُطْرُوني كما أَطرتِ النَّصارى عيسى ابنَ مريمَ))، أي: أَطْرُوني،
لكن لا يَصِلُ إِطْرَاؤُكم إلى ما وصلَ إليه النَّصارى مِن أَنه ابنُ اللهُ، وثالثُ ثلاثة!

وهذا خَطَأٌ، والمعنى الصَّحيح للحديث: لا تُبالِغوا في إِطرائي كما بالِغَ النَّصارى في إِطْرَائِ
نَبِيَّهم حتى أَذاهم ذلك إلى تَأليهِه.

(١) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ٩٠)

(٢) محاتد: جمع مَحْتَد، وهو: الأَصْل والطَبْع؛ يُقال: إِنَّه لَكَرِيم المَحْتَدِ، ورجعَ إلى مَحْتَدِه. ينظر: ((لسان العرب)) لابن
منظور (٣/ ١٣٩)، ((المعجم الوسيط)) (١/ ١٥٤).

(٣) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ٩٢)

ومن ذلك قوله:

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمِّ
وهذا غيرُ صحيح، فليس كلُّ مَنْ تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ صَارَتْ لَهُ ذِمَّةٌ بهذه التسمية؛ فما أَكْثَرَ مَنْ
تَسَمَّى بِمُحَمَّدٍ وَهُوَ فِي عِدَادِ الْفَسَقَةِ! وَلَكِنْ لِلْأَسْفِ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُرَدِّدُونَ هَذَا الْبَيْتَ وَغَيْرَهُ وَهُمْ
يَظُنُّونَ صِحَّةَ مَعْنَاهُ.

وقوله أيضًا:

لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظَمُهُ طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمٍ
الانتشاق: الشم، والالتئام: التعفر أو التقبيل، والتناظم يدعو لأن ننتشق وملتثم تراب قبر النبي
صلى الله عليه وسلم، وهذا من الغلو أيضًا.

والحاصل: أن البوصيري كان من غلاة الصوفية الشاذلية، ولا ينفع الذين دافعوا عنه
التماسهم العذر له في بعض الأبيات أو توجيهها وجهة حسنة، فهذا إنما يقال لمن كان سليم
المعتقد، سليم المنهج والطريقة، ثم تزل قدمه في مسألة أو مسألتين، فهذا يئتمس له العذر فيها، أما
من كانت هذه طريقته، وهذا معتقده، وهذا ديدنه، فمهما التمسنا له العذر في بيت أو بيتين،
فماذا عن الباقي؟! وماذا عن شرح هذه القصائد الذين يؤكدون هذه المعاني، ويتتابعون عليها في
شرح قصائده؟!

وهذا كله لا يمنعنا أن نشيد بقوة شعره وجزالته، سواء كان من شعر مديح المصطفى صلى
الله عليه وسلم، أو ما فيه من حكم ودُرر؛ فمن مديح المديح: قوله في البردة:

أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٌ
كَالزَّهْرِ فِي تَرْفِ الْبَدْرِ فِي شَرْفِ وَالْبَحْرِ فِي كَرَمِ وَالذَّهْرِ فِي هِمِّ

وقوله واصفًا الصحابة رضي الله عنهم:

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ مَاذَا لَقِي مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أُحُدًا فُصُولُ حَنْفٍ لَمْ أَذْهَى مِنْ الْوَحْمِ
كَأَتْهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُبِّي مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُرْمِ

وفيها من الحِكم الكثير، كمثل قوله:

والنَّفْسُ كالطُّفْلِ إِنْ تُهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقْطِطَهُ يَنْفَطِمُ
فأصرف هواها وحاذِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ إِنَّ الهَوَى مَا تَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمُّ^(١)
وراعِها وهى فى الأعمالِ سائِمةٌ وإنْ هى اسْتَحَلَّتِ المرعى فلا تَسِمْ
كم حَسَنَتْ لَذَّةً للمرءِ قاتلةٌ من حيثُ لم يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فى الدَّسَمِ
قد تُنَكِرُ العَيْنُ ضوئَ الشَّمْسِ مِنْ رَمِدٍ وَيُنَكِرُ الفمُّ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ
واستَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قد امْتَلَأَتْ مِنَ المَحَارِمِ وَالزَّمِّ جَمِيَةَ النَّدَمِ
وخالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعصِهما وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكِ النُّصْحَ فَاتَّهَمِ
ولا تُطِعْ منهما خصمًا ولا حَكَمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الحِصَمِ والحِكَمِ

ومن بديع شعره:

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ وَمَا امْرُؤٌ بِمَخْلَدِ
إِنَّ الفناءَ لِكُلِّ حَيٍّ غايَةٌ مَحْتَمَةٌ إِنْ لم يَكُنْ فَكأنَّ قَدِ^(٢)

هذا، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن يَهدي ضالَّ المؤمنين، وأن يَرُدَّهُ إلى الحَقِّ رَدًّا جَميلًا.

**وصلَّى اللهُ وسلَّم على حَبِيبِنَا وَسَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ،
وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ..**

(١) يُصِمُّ: يَفْتُلُ، مِنْ أَصَمَى الصَّيْدَ إِذَا رَمَاهُ فَفَتَلَهُ وَهُوَ يِرَاهُ.

أَوْ يَصِمُّ: يُعَيِّبُ مِنَ الوُصْمِ، وَهُوَ العَيْبُ وَالعار. ينظر: ((الصَّحاح)) للجوهري (٥/ ٢٠٥٢) (٦/ ٢٤٠٤).

(٢) انظر: ((ديوان البوصيري)) (ص: ١٠٣).